سلسلة تفريغات شبكة بينونة

كل نفس ذائقة الموت

الشيخ حامد بن خميس الخنبي

قام به فريق التفريغ في شبكة بينونة للعلوم الشرعية

@BaynoonanetUAE @Baynoonanet www.baynoona.net

من هنا باقي التفريغات

بسم الله الرحمن الرحيم

يسرّ شبكة بينونة للعلوم الشرعية أن تقدم لكم تفريغًا لمحاضرة

بعنوان

كل نفس ذائقة الموت

للشيخ

حامد بن خميس الجنيبي

حفظه الله تعالى

نسأل الله سبحانه وتعالى أن ينفع به الجميع

حقوق الطبع محفوظة لشبكة بينونة للعلوم الشرعية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل لكل أمةٍ أجلًا، وجعل لكل عبدٍ عملًا، رضي من عباده بيسير العمل، وتجاوز لهم به عن كثيرٍ من الزلل، وسهَّل لهم إلى مرضاته السبل، دلَّهم برحمته على ما تزول به العلل، هو المحمود لا يُحصى الثناء عليه، وهو المستعان بما دلَّ العباد إليه، أرشد أقوامًا إلى طاعته، وأضلَّ أقوامًا عن سبيل هدايته.

أشهد أن لا إله إلا هو أرحم الراحمين وأكرم الأكرمين، نحمده سبحانه وهو المحمود بكل ما قدَّره وقضاه، ونستعينه استعانة من يعلم أن لا ربَّ غيره ولا سواه، ونستهديه سبل الذين أنعم عليهم لمن اختاره لقبول الحق وارتضاه، ونشكره والشكر كفيلٌ بالمزيد من عطاياه، ونستغفره من الذنوب التي تحول بين القلب وهداه.

ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا استعاذة عباد فرُّو إلى ربهم بذنوبهم وخطاياهم، واعتصموا به من الأهواء المردية والبدع المضلِّة، فما خاب من أصبح به معتصمًا وبحماه نزيلًا.

وأشهد أن نبيه ورسوله محمد خيرته من خلقه، سيد الواعظين وإمام المتقين، بلَّغ ما أُمِر به فأبان سبيل القويم، وأوضح الصراط المستقيم، الصادق المصدوق، الذي لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحيٌ يوحى، أرسله رحمة للعالمين، وحُجةً للسالكين، وحجةً على العبادِ أجمعين، صلوات ربي وسلامه عليه.

أما بعد...

فيقول الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىَ- في كتابه الكريم: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف:٣٤] هكذا هي هذه الحياة الدنيا، جعلها الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىَ- لمن خلقه من الإنس والجن سائرين فيها إلى الدار الآخرة، كلهم يقطع هذه الحياة ويسير فيها بما هو مقضيٌّ له ومكتوبٌ

قبل أن يخلق الله السمواتِ والأرضَ ومن عليها، يتقلَّبون في هذه الأرض وهم مع ذلك بين مقدِّمٍ ومؤخر، وطالبٍ بما فيه رضا ربه -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىَ-، وطالبٍ لما فيه رضا الشيطان -والعياذ بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىَ-.

هذه الدنيا مآلُها إلى زوال، والكثير من العباد إذا ذُكِّر بفوات حظه من هذه الدنيا وقُربِ أجلِه، وانقطاعِ ما فيها من اللذات، ضاق صدرهُ، وحشرجت نفسه، وخفي عليه ما قاله ربه: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [آل عمران:١٨٥].

هكذا هي هذه الحياة الدنيا نخرج منها ونسير إلى أقدارنا التي قدَّرها الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىَ-، ونمضي ونحن لا ندري ما قد كتبه الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىَ- لعباده حين يلقونه بعد انقضاءِ هذا الأجل، كم مسكينٍ لم يُعِدَّ لهذا اليوم! وكم من مقصِّرٍ لم يدرك ما قد يكونُ له في أول ليلةٍ في قبره ولم يُعِدَّ لذلك اليوم عُدته! وكم من عاملٍ قد قصرَ في عمله وهو لا يدري أيقبل منه ذلك العمل أم يرد عليه؟! وصدق من قال: "كفى بالموت واعظًا لمن عقل، وكفى بالبرزخ والحسابِ زاجرًا لمن غفل".

- قال الحسَنُ البصريُّ -رَحِمَهُ الله تَعَالَى-: "ما الدُّنيا كلّها من أوَّلِها إلى آخرِها إلا كرَجُلٍ نامَ نومةً فرأى في منامِه ما يحبُّ؛ ثم انتبَه!"؛
- قال الله سبحانه: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ﴾ [الروم:٥٥].
- وقال الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىَ-: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَنْ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾ [يونس:٤٥].
- وقال الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىَ-: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ﴾ [الأحقاف:٣٥].

- وقال الله سبحانه: ﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ (١١٢) قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ (١١٣) قَالَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (١١٤)﴾ [المؤمنون: ١١٢-١١٤].
- وقال سبحانه: ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا (١٠٢) يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا (١٠٣) نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا (١٠٤)﴾ [طه: ١٠٢-١٠٤].

هكذا الدنيا وحالها؛ تفتُنُ بزُخرُفها، وتغُرُّ بزينتِها، نصبت نفسها للغافلين، فقيرها محزون، وغنيُها مفتون، تُمَنِّي صريعها بالفردوس بلا عمل، وتُسَوِفُ له بالتوبة بطول الأمل، وتُنسي مفتونها بقرب الأجل؛ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللهِ الْغَرُورُ﴾ [فاطر: ٥].

عن أبي سعيد الخدري -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-: "أنَّ النبيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- غرزَ بينَ يديهِ عودا، ثُمَّ غَرزَ إلى جنبِه آخرَ، ثمَّ غَرزَ الثَّالثَ فأبعدَهُ ثمَّ قالَ: «هَلْ تَدْرُونَ مَا هَذَا؟» قالوا: اللهُ ورسولُه أعلم قالَ: «هَذَا الإِنْسَانُ وَهَذَا أَجَلُهُ، وَهَذَا أَمَلُهُ يَتَعَاطَى الأَمَلَ، يَخْتَلِجُهُ الأَجَلُ دُونَ ذَلِكَ»[1].

كم من مسكينٍ لم يُحاذر نفسه هواها، ولم يخالفها شهوتها، لم يُحاذر أن تصرعه وهو يبغي نجاتها، وأن تصرعه وهو يريد إصلاحها فتفسده، يريد سلامتها فتعطبه، ويريد إنصافها فتجور عليه، ويريد استقامتها فتضلِّه وتغويه، عمله الليل والنهار إنما يريد نجاتها وعافيتها وهي أول من يخاصمه يوم العرض على الله تعالى.

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (١١٣٠١)

تذكر يا عبد الله: طاعتك تنفعك، وغفلتك ليست تضرك إلا إياك، فإن تصرَّم الأجل فإنك تقوم بين يدي ربك فيسألك.

قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «ولَيَلْقَيَنَّ اللهَ أَحَدُكُمْ يَومَ يَلْقَاهُ، وليسَ بَيْنَهُ وبَيْنَهُ تَرْجُمَانٌ يُتَرْجِمُ لَهُ، فَلَيَقُولَنَّ: أَلَمْ أَبْعَثْ إِلَيْكَ رَسولًا فيُبَلِّغَكَ؟ فيقولُ: بَلَى، فيقولُ: أَلَمْ أُعْطِكَ مَالًا وأُفْضِلْ عَلَيْكَ؟ فيقولُ: بَلَى، فَيَنْظُرُ عن يَمِينِهِ فَلَا يَرَى إِلَّا جَهَنَّمَ، ويَنْظُرُ عن يَسَارِهِ فلا يَرَى إِلَّا جَهَنَّمَ، اتَّقُوا النَّارَ ولو بِشِقَّةِ تَمْرَةٍ»[1].

وصدق القائل إذ قال:

أُجَنُّ بِزَهرَةِ الدُنيا جُنونًا ... وَأُفني العُمرَ فيها بِالتَمَنّي
وَبَينَ يَدَيَّ مُحتَبَسٌ ثقيل ... كَأَنّي قَد دُعيتُ لَهُ كَأَنّي
وَلَو أَنّي صَدَقتُ الزُهدَ فيها ... قَلَبتُ لاهِلِها ظَهرَ المِجَنِّ

بكى ابن المنكدر -رَحِمَهُ الله تَعَالَى- حين حضرته الوفاة، فقيل له: ما يبكيك؟ فقال: "والله ما أبكي لذنبٍ أعلم أني أتيته ولكن أخاف أني أتيت شيئًا حسبته هيِّنًا وهو عند الله عظيم". نعم هكذا كانوا -رَحِمَهُم اللهُ تَعَالَى- يُحاذرونَ ما قد عملوه وقدَّموه، ويتذكرون ما قد عملوه في هذه الحياة الدنيا من الذنوب والمعاصي، ويخاف أحدهم ألا يُقبَل منه ما قد قدَّمه من الطاعات، وأن يُرد عليه ما هنالك.

قال الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- في كتابه الكريم: ﴿وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ (١٠) وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١١)﴾ [المنافقون: ١٠-١١].

أرى المرء يبكي للذي مات قبله ... وموت الذي يبكي عليه قريبُ
وما الموت إلا في كتابٍ مؤجلٍ ... إلى ساعةٍ يُدعى لها فيُجيب

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٢ / ١٠٨) برقم: (١٤١٣)

كم ممن حذر من الموت فأماته الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىَ- في حادث، وكم ممن هرب من الموت ولكنه لم يدرك ما هرب إليه، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [البقرة:٢٤٣].

عبد الله: اعلم إن الأمر قريب والله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىَ- أقرب إليك من حبل الوريد؛ فخذ عبرةً لكَ بمن مضى، واستبصر بحالِ من قضى قبل أن يُحال بينك وبين ما تحب وتشتهي، وارتحل إلى آخرتك قبل أن ترتحل بك الدنيا إلى الآخرة.

- قال الحسن البصري -رَحِمَهُ اللهُ-: "ابن آدم! إنما أنت بين راحلتين مطيتين يوضعانك، يوضعك الليل إلى النهار والنهار إلى الليل حتى يسلماك إلى الآخرة؛ فمن أعظم منك يا ابن آدم خطرًا".

- عن عبد الله بن مسعود -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قال: "**خَطَّ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- خَطًّا مُرَبَّعًا، وخَطَّ خَطًّا في الوَسَطِ خَارِجًا منْهُ، وَخَطَّ خُططًا صِغَارًا إِلى هَذَا الَّذِي في الوَسَطِ مِنْ جَانِبِهِ الَّذِي في الوَسَطِ، فَقَالَ: «هَذَا الإِنسَانُ، وَهَذَا أَجَلُهُ مُحِيطًا بِهِ، وَهَذَا الَّذِي هُوَ خَارِجٌ أَمَلُهُ، وَهَذِهِ الخُطَطُ الصِّغَارُ الأَعْرَاضُ؛ فَإِنْ أَخْطَأَهُ هَذَا نَهَشَهُ هَذا، وَإِنْ أَخْطَأَهُ هَذا نَهَشَهُ هَذا**»"[1].
- وَروي عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: "**هَذَا الْمَرْءُ وَهَذِهِ الْحُتُوفُ حَوْلَهُ شَوَارِعُ إِلَيْهِ وَالْهَرَمُ وَرَاءَ الْحُتُوفِ، وَالْأَمَلُ وَرَاءَ الْهَرَمِ، فَهُوَ يُؤَمِّلُ، وَهَذِهِ الْحُتُوفُ شَوَارِعُ إِلَيْهِ، فَأَيَّهَا أُمِرَ بِهِ أَخَذَهُ، فَإِنْ أَخْطَأَتْهُ الْحُتُوفُ قَتَلَهُ الْهَرَمُ، وَهُوَ يَنْظُرُ إِلَى الْأَمَلِ**".

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٨ / ٨٩) برقم: (٦٤١٧)

- قال الْفُضَيْلَ بْنَ عِيَاضٍ -رَحِمَهُ اللهُ-: "إِنَّمَا أُتِيَ النَّاسُ مِنْ خَصْلَتَيْنِ حُبِّ الدُّنْيَا وَطُولِ الْأَمَلِ".
- وقال الحسن -رَحِمَهُ اللهُ-: "ما أطال عبد الأمل، إلا أساء العمل".
- وكان معروفٌ -رَحِمَهُ الله تَعَالَى- يقول: "اللهم إني أعوذ بك من طول الأمل، فإن طول الأمل يمنع خير العمل".

هكذا كانوا -رَحِمَهُم اللهُ تَعَالَى- يخافون ويحذرون طول الأمل الذي يمنعهم خير العمل، فإن طول الأمل يجعل العبد يمني النفس بالتوبة ويسوِّف في حصولها حتى يفجأه الأجل.

- رُوي عن خباب -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أنه قال: "إنه قد مضى قبلنا أقوام لم ينالوا من الدنيا شيئًا، وإنا بقينا بعدهم حتى نُلْنَا من الدنيا ما لا يدري أحدنا في أي شيءٍ يضعه إلا في التراب".
- ورُوي عن أبي ذرٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أنه قال: "يُولَدُونَ لِلْمَوْتِ، وَيُعَمِّرُونَ لِلْخَرَابِ، وَيَحْرِصُونَ عَلَى مَا يَفْنَى، وَيَتْرُكُونَ مَا يَبْقَى، أَلَا حَبَّذَا الْمَكْرُوهَانِ: الْمَوْتُ وَالْفَقْرُ".

فيا مُؤَمِّل الدنيا والموت يطلبه، وغافل يَغْفل ليس يُغْفَل عنه، ويا ضاحك مَلْءَ فِيهِ ولا يدري أساخطٌ رب العالمين عليه أم هو راضٍ؟!

تذكر خطفات المنايا فلعلك تصبح ولا تمسي، ولعلك تمسي ولا تصبح، ولعلك تُخلِّف وراءك ما لا تفرح به في صحيفتك، فإن الموت معقودٌ بنواصي بني آدم وما أنت إلا منهم، بقدر ما تأخذ من الدنيا بقدرِ ما تغتالُ عقلك، ولا تفيقُ من سكرتها إلا في عسكرِ الموتى.

قال يحيى بن معاذ الرازي: "الدنيا خمرُ الشيطان، من سُكر منها لم يفق إلا في عسكر الموت".

أيا من عاش في الدّنيا طويلا وأفنى العمر في قيلٍ وقالِ
وأتعب نفسه فيما سيفنى وجمع من حرامٍ أو حلالِ
هب الدّنيا تقاد إليك عفوًا أليسَ مصير ذلك للزّوالِ؟!

قال العلامة ابن القيم -رَحِمَهُ الله تَعَالَى-: "ومع ذلك فأكثر النفوس في غفلةٍ عنه لا تستعد له ولا تأخذ له أُهبة، والمستعد له الآخذ له أهبةً لا يعطيه حقه منهم إلا الفرد بعد الفرد، فأكثر الخلق لا ينظرون في المراد من إيجادهم وإخراجهم إلى هذه الدار، ولا يتفكرون في قلَّة مقامهم في دار الغرور، ولا في رحيلهم وانتقالهم عنها، ولا إلى أين يرحلون وأين يستقرون؟ قد ملكهم الحس، وقلَّ نصيبهم من العقل، وشملتهم الغفلة، وغرَّتهم الأماني التي هي كالسراب، وخدعهم طول الأمل، وكأن المقيم لا يرحل وكأن أحدهم لا يبعث ولا يسأل، وكأن مع كل مقيمٍ توقيعٌ من الله: لفلان ابن فلان بالأمان من عذابه، والفوز بجزيل ثوابه.

فأما اللذات الحسية والشهوات النفسية كيفما حصلت فإنهم حصَّلوها، ومن أي وجه لاحت أخذوها، غافلين عن المطالبة، آمنين من العاقبة، يسعون لما يدركون، ويتركون ما هم به مطالبون، ويعمرون ما هم عنه منتقلون، ويُخربون ما هم إليه صائرون، وهم عن الآخرة هم غافلون، ألهتهم شهوات نفوسهم فلا ينظرون في مصالحها، ولا يأخذون في جمع زادها في سفرها ﴿نَسُوا اللهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [الحشر:١٩]، ومطايا الليل والنهار تُسرِع به، ولا يتفكَّر إلى أين يُحمَل، ولا إلى أي منزل ينقل؟

وَكَيْفَ تَنَامُ الْعَيْنُ وَهْيِ قَرِيرَةٌ وَلَمْ تَدْرِ فِي أَيِّ الْمَحِلَّيْنِ تَنْزِلُ؟

وإذا نزل بأحدهم الموت قلق لخراب ذاته، ولذهاب لذاته، لا لما سبق من جناياته، ولا لسوء منقلَبه بعد مماته، فإن خطرت على أحدهم خطر من ذلك اعتمد العفو أو الرحمة، وكأن يتيقن أن ذلك نصيبه ولا بد، فلو أن العاقل أحضر ذهنه ما استحضر عقله، وسار بفكره وأمعن النظر، وتأمل الآيات لفهم المراد من إيجاده، ولنظرت عين الراحل إلى الطريق، ولأخذ المسافر في التزود، والمريض في التداوي، والحازم ما يجوز أن يأتي؛ فما الظن بأمر متيقن، كما أنه لصدق إيمانهم وقوة إيقانهم وكأنهم يعاينون الأمر. فأضحت ربوع الإيمان من أهلها خالية، ومعالمه على عروشها خاوية".

- عن ثوبان -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- مولى رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: قال رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «يُوشِكُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمُ الأُمَمُ مِنْ كُلِّ أُفُقٍ كَمَا تَدَاعَى الأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا» قَالُوا: وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: «أَنْتُمْ ذَلِكَ الْيَوْمَ كَثِيرٌ وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ تُنْتَزَعُ الْمَهَابَةَ مِنْ قُلُوبِ عَدُوِّكُمُ ويُجْعَلُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهَنَ». قَالُوا: وَمَا الْوَهَنُ؟ قَالَ: «حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ»[1].

- وقد كان رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يُذكِّر أصحابه بأن يتذكروا هادم اللذات وهو الموت، فقال -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «أَكْثِرُوا ذِكْرَ هَادِمِ اللَّذَّاتِ»[2] وهادم اللذات وهو الموت، سمَّاه رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-؛ لأنه يهدم كل لذةٍ سبقت، ويحولُ بين النفس وشهواتها وملذاتها، وبه يوقن العبد أن هذه الدنيا مآلها إلى فناءٍ وإلى خراب، وأن ما يبقى إنما هو العمل الصالح، وما ورَّثه العبد وراءه من تلك الأعمال الصالحة.

---

(١) أخرجه أبو داود في "سننه" (٤ / ١٨٤) برقم: (٤٢٩٧)

(٢)أخرجه ابن حبان في "صحيحه" (٣ / ٩٩) برقم: (٨١٧)

- يقول الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىَ- في كتابه الكريم واعظًا ومُذكرَ: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ﴾ [النساء:٧٨] قاله الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىَ- مذكرًا ومواعظًا لمن غفل عن هذا الموت، وغفل عن ذكرِ هادم اللذات، وظنَّ أنه ببروجه المشيدة وحصونه المنيعة أنه يُحفظُ من ذلك الموت.

- قال علي بن أبي طالب -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-: "إن أخوف ما أخاف اتباع الهوى وطول الأمل؛ فأما اتباع الهوى فيصد عن الحق، وأما طول الأمل فينسي الآخرة، ألا وإن الدنيا قد ترحَّلت مدبرة، وإن الآخرة قد ترحلت مقبلة، ولكل واحدةٍ منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن اليوم عمل ولا حساب، وغدًا حسابٌ ولا عمل".
- قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «يَهْرَمُ ابنُ آدَمَ وَيَبْقَى مَعَهُ اثْنَتَانِ: الحِرصُ، والأَمَلُ»[1].

الموتُ عباد الله: هو الذي يُذكِّر الصالحين بوجوب العمل الذي أمر الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىَ- به، وهو الذي يقودهم إلى مرضاة الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىَ- بحسن العمل، وانقطاعهم عن الملذات والشهواتِ والشبهات التي تبعدهم عن الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىَ-، فإذا أكثر العبدُ من المعاصي ومن الذنوب كان ولا بد أن يكون له الموت واعظًا ومُذَكِّرًا بأنه لا بد أن يساق يومًا فيُسأل عما قدمه في هذه الحياة الدنيا.

- قال صالحٌ المرِّي: "إن ذكر الموت إذا فارقني ساعة فسد عليَّ قلبي".
- قال الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىَ-: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [الحديد:١٦].

---

(١) أخرجه مسلم في "صحيحه" (٣/ ٩٩) برقم: (١٠٤٧)

- قال عبد الله بن مسعود -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-: "ما كانَ بيْنَ إسْلَامِنَا وبيْنَ أَنْ عَاتَبَنَا اللهُ بهذِه الآيَةِ: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللهِ﴾ [الحديد:١٦] إلَّا أَرْبَعُ سِنِينَ".
- قال الله سبحانه: ﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [الحجر:٣]؛ أي سوف يعلمون ما قدَّموه من التمتع بهذه الدنيا وطول الأمل، والغفلة عما قد جعله الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- في دار الآخرة.
- قال القرطبي -رَحِمَهُ اللهُ-: "الأمل: الحرص على الدنيا والانكباب عليها، والحب لها والإعراض عن الآخرة".
- عن عبد الله بن عمر -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- قال: "أَخَذَ رَسولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بمَنْكِبِي، فَقَالَ: «كُنْ في الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أوْ عَابِرُ سَبِيلٍ»[1] وكانَ ابنُ عُمَرَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- يقولُ: إذَا أمْسَيْتَ فلا تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وإذَا أصْبَحْتَ فلا تَنْتَظِرِ المَسَاءَ، وخُذْ مِن صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ، ومِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ".
- عن ابن عباسٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- قال: قال رسولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لرجلٍ وهو يَعِظُه: «اغْتَنِمْ خَمْسًا قبلَ خَمْسٍ: شَبابَكَ قبلَ هِرَمِكَ، وصِحَّتَكَ قبلَ سَقَمِكَ، وغِناكَ قبلَ فَقْرِكَ، وفَرَاغَكَ قبلَ شُغْلِكَ، وحَياتَكَ قبلَ مَوْتِكَ»[2].

- قَالَ الفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ لِرَجُلٍ: "كَمْ أَتَتْ عَلَيْكَ؟ قَالَ: سِتُّونَ سَنَةً، قَالَ: فَأَنْتَ مُنْذُ سِتِّينَ سَنَةً تَسِيرُ إِلَى رَبِّكَ تُوشِكُ أَنْ تَبْلُغَ، فَقَالَ الرَّجُلُ: يَا أَبَا عَلِيٍّ؛ ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة:١٥٦]، قَالَ لَهُ الْفُضَيْلُ: تَعْلَمُ مَا تَقُولُ؟ قَالَ الرَّجُلُ: قُلْتُ: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة:١٥٦]، قَالَ الْفُضَيْلُ: تَعْلَمُ مَا تَفْسِيرُهُ؟ قَالَ الرَّجُلُ: فَسِّرْهُ لَنَا يَا أَبَا عَلِيٍّ؟ قَالَ: قَوْلُكَ: إِنَّا

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٨ / ٨٩) برقم: (٦٤١٦)

(٢) أخرجه الحاكم (٧٩٤١)

لِلَّهُ، تَقُولُ: أَنَا لِلَّهِ عَبْدٌ، وَأَنَا إِلَى اللهِ رَاجِعٌ؛ فَمَنْ عَلِمَ أَنَّهُ عَبْدُ اللهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ رَاجِعٌ فَلْيَعْلَمْ بِأَنَّهُ مَوْقُوفٌ، وَمَنْ عَلِمَ بِأَنَّهُ مَوْقُوفٌ فَلْيَعْلَمْ بِأَنَّهُ مَسْئُولٌ، وَمَنْ عَلِمَ أَنَّهُ مَسْئُولٌ فَلْيُعِدَّ لِلسُّؤَالِ جَوَابًا، فَقَالَ الرَّجُلُ: فَمَا الْحِيلَةُ؟ قَالَ: يَسِيرَةٌ، قَالَ: مَا هِيَ؟ قَالَ: تُحْسِنُ فِيمَا بَقِيَ، يُغْفَرُ لَكَ مَا مَضَى، فَإِنَّكَ إِنْ أَسَأْتَ فِيمَا بَقِيَ أُخِذْتَ بِمَا مَضَى وَمَا بَقِيَ".

- عَنْ أَبِي قَتَادَةَ بْنِ رِبْعِيٍّ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أَنَّهُ كَانَ يُحَدِّثُ، أَنَّ رَسولَ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مُرَّ عليه بجِنَازَةٍ، فَقالَ: «مُسْتَرِيحٌ ومُسْتَرَاحٌ مِنْهُ» قالوا: يا رَسولَ اللهِ، ما المُسْتَرِيحُ والمُسْتَرَاحُ منه؟ قالَ: «العَبْدُ المُؤْمِنُ يَسْتَرِيحُ مِن نَصَبِ الدُّنْيَا وأَذَاهَا إلى رَحْمَةِ اللهِ، والعَبْدُ الفَاجِرُ يَسْتَرِيحُ منه العِبَادُ والبِلَادُ، والشَّجَرُ والدَّوَابُّ»[1].

الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- قد جعل في هذا الموت واعظًا لكل مؤمن، ولا يتعظُ بمواعظِ القرآن إلا من أصلح الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- قلبه وأنار بصيرته. قال الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-: ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ﴾ [ق:٤٥].

كُلُ من غفل عن طاعة الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- وكلُ من ابتعد عما أمر الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- به، فإنه لا بد أن يأتيه يوم يفارق هذه الحياة الدنيا، ولا بد أن يوقف بين يدي الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- فينظر فلا يجد أمامه إلا ما قدَّمه في هذه الحياة الدنيا، وهذا الذي كان عليه أصحاب رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ- وسادات التابعين كانوا يتذكرون أعمالهم إذا حضرهم الموت وكانوا على فراقٍ من هذه الحياة الدنيا.

---

(١)أخرجه البخاري في "صحيحه" (٨ / ١٠٧) برقم: (٦٥١٢)

- عن عامر بن عبد الله أن سلمان الخير أنه حين حضره الموت عرفوا منه بعض الجزع، قالوا: (ما يجزعك يا أبا عبد الله وقد كان لك السابقة في الخير، شهدت مع رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مغازي حسنة وفتوحًا عِظامًا؟ قال: يجزعني أن حبيبنا -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حين فارقنا عهد إلينا قال: «لِيَكْفِ اليَوْمَ مِنكُمْ كَزَادِ الرَّاكِبِ»[1] قال: فهذا الذي أجزعني". فجُمِع مال سلمان فكان قيمته خمسةَ عشرَ درهمًا.

- قال الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [آل عمران:١٨٥].
- وقال الله سبحانه: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء:٣٥].
- قال إبراهيم التيمي -رَحِمَهُ اللهُ-: "شيئان قطعا عني لذَّة الدنيا: ذكر الموت، وذكر الموقف بين يدي لله -عَزَّ وَجَلَّ-".
- وقال عمر بنُ عبد العزيز -رَحِمَهُ اللهُ- لبعض جلسائه: "يا فلانُ، لقد بِتُّ الليلةَ أتفكَّرُ في القبر وساكنه، وإنك لو رأيتَ الميت بعد ثلاثةٍ في قبره لاستوحشت من قُربه بعد طول الأُنس منك به، ولرأيت بيتًا تجول فيه الهوامُّ، ويجري فيه الصديد، وتخترقه الديدان، مع تغيُّر الرائحة، وبلى الأكفان، بعد حسن الهيئة، وطيب الرِّيح، ونقاء الثوب".

كم من عبد قد جعل الله له في هذه الدنيا مواعظ، مواعظ كثيرة لا يتذكَّر ولا يتفكَّر به، ولا يتأمل فيمن سبقه، ولا ينظر في عاقبة من سبق، وكيف أن كثيرًا منهم قد فارق هذه الحياة الدنيا؛ الحبيب قد فارق، والقريب قد فارق، فارق بعضنا أهله وأحبته وقرابته وأصدقاءه، وقد وُقِفْنا على هذا الموت وكم منا وارى

---

(١)أخرجه ابن حبان في "صحيحه" (٢ / ٤٨١) برقم: (٧٠٦)

قريبًا له وحبيبًا الثرى وأهال عليه التراب، ومع ذلك لا يتعظ الإنسان ولا يتفكر ولا يتأمل ولا يتدبر في أن مآلهُ في يومٍ ما سيكونُ تحت هذا التراب.

أعمالنا يا عباد الله: قليلة يسيرة فيما أمر الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىَ-، وقلَّما يرجع الإنسان التفكر في الموت والوقوف بين يدي الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىَ- له زاجرًا عن تلك المعاصي وعن تلك الذنوب، ولذلك النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لما أمر بذكر هادم اللذات وقال: «أَكْثِرُوا ذِكْرَ هَادِمِ اللَّذَّاتِ» لعلمه -صلوات الله وسلامه عليه- أن الأصل في بني آدم الغفلة عن ذلك، وأنهم لا يتفكرون ولا يتأملون فيما يكون عليه العبد بعد فراق هذه الحياة الدنيا.

ولك أن تتأمل في حال العبد المؤمن الصالح إذا كان في قبره، وحال العبد الفاجر إذا كان في قبره فيما أخبر به رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وهو ما أخرجه أحمد في مسند في حديث البراء عن عازبٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قال: خَرَجْنا مع النَّبيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في جِنازةِ رَجُلٍ مِن الأنصارِ، فانتهَيْنا إلى القَبرِ ولمَّا يُلحَدْ، فجَلَسَ رسولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وجَلَسْنا حَولَه، كأنَّ على رُؤوسِنا الطَّيرُ، وفي يدِه عُودٌ يَنكُتُ في الأرضِ، فرَفَعَ رأسَه، فقال: «اسْتَعِيذُوا بِاللهِ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ» مَرَّتَينِ، أو ثَلاثًا، ثُمَّ قال:

«إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنْ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنْ الْآخِرَةِ، نَزَلَ إِلَيْهِ مَلَائِكَةٌ مِنْ السَّمَاءِ بِيضُ الْوُجُوهِ كَأَنَّ وُجُوهَهُمْ الشَّمْسُ، مَعَهُمْ كَفَنٌ مِنْ أَكْفَانِ الْجَنَّةِ، وَحَنُوطٌ مِنْ حَنُوطِ الْجَنَّةِ، حَتَّى يَجْلِسُوا مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَيَقُولُ: اخْرُجِي أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ، اخْرُجِي إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ اللهِ وَرِضْوَانٍ، فَتَخْرُجُ تَسِيلُ كَمَا تَسِيلُ الْقَطْرَةُ مِنْ فِيِّ السِّقَاءِ فَيَأْخُذُهَا، فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدَعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَأْخُذُوهَا، فَيَجْعَلُوهَا فِي ذَلِكَ الْكَفَنِ وَفِي ذَلِكَ الْحَنُوطِ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَطْيَبِ نَفْحَةِ مِسْكٍ وُجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ فَيَصْعَدُونَ بِهَا، فَلَا يَمُرُّونَ يَعْنِي بِهَا عَلَى مَلَإٍ مِنْ الْمَلَائِكَةِ إِلَّا قَالُوا: مَا هَذَا الرُّوحُ الطَّيِّبُ؟ فَيَقُولُونَ: رُوحُ فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ بِأَحْسَنِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانُوا يُسَمُّونَهُ بِهَا فِي الدُّنْيَا، فَيَسْتَفْتِحُونَ لَهُ فَيُفْتَحُ لَهُمْ، فَيُشَيِّعُهُ مِنْ كُلِّ سَمَاءٍ مُقَرَّبُوهَا إِلَى السَّمَاءِ الَّتِي تَلِيهَا حَتَّى يُنْتَهَى بِهِ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَيَقُولُ اللهُ -عَزَّ وَجَلَّ-

: اكْتُبُوا كِتَابَ عَبْدِي فِي عِلِّيِّينَ وَأَعِيدُوهُ إِلَى الْأَرْضِ فَإِنِّي مِنْهَا خَلَقْتُهُمْ وَفِيهَا أُعِيدُهُمْ، وَمِنْهَا أُخْرِجُهُمْ تَارَةً أُخْرَى.

فَقَالَ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: فَتُعَادُ رُوحُهُ إِلَى الأَرْضِ، فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّيَ اللهُ -عَزَّ وَجَلَّ-، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: دِينِيَ الْإِسْلَامُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هُوَ مُحَمدٌ رَسُولُ اللهِ، فَيَقُولَانِ لَهُ: وَمَا عِلْمُك؟ فَيَقُولُ: قَرَأْتُ كِتَابَ اللهِ فَآمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ، فَيُنَادِي مُنَادٍ فِي السَّمَاءِ أَنْ صَدَقَ عَبْدِي؛ فَأَفْرِشُوهُ مِنْ الْجَنَّةِ، وَأَلْبِسُوهُ مِنْ الْجَنَّةِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ.

قَالَ: فَيَأْتِيهِ مِنْ رَوْحِهَا وَطِيبِهَا وَيُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ، قَالَ: وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ حَسَنُ الْوَجْهِ حَسَنُ الثِّيَابِ طَيِّبُ الرِّيحِ، فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُرُّكَ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ، فَيَقُولُ لَهُ: مَنْ أَنْتَ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالْخَيْرِ؟ فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ، فَيَقُولُ: رَبِّ أَقِمْ السَّاعَةَ، رَبِّ أَقِمْ السَّاعَةَ، حَتَّى أَرْجِعَ إِلَى أَهْلِي وَمَالِي.

قَالَ: وَإِنَّ الْعَبْدَ الْكَافِرَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنْ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنْ الْآخِرَةِ نَزَلَ إِلَيْهِ مِنْ السَّمَاءِ مَلَائِكَةٌ سُودُ الْوُجُوهِ مَعَهُمْ الْمُسُوحُ، فَيَجْلِسُونَ مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَيَقُولُ: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ اخْرُجِي إِلَى سَخَطٍ مِنْ اللهِ وَغَضَبٍ، قَالَ: فَتُفَرَّقُ فِي جَسَدِهِ فَيَنْتَزِعُهَا كَمَا يُنْتَزَعُ السَّفُّودُ مِنْ الصُّوفِ الْمَبْتَلِ، فَيَأْخُذُهَا فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدَعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَجْعَلُوهَا فِي تِلْكَ الْمُسُوحِ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَنْتَنِ رِيحِ جِيفَةٍ وُجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، فَيَصْعَدُونَ بِهَا فَلَا يَمُرُّونَ بِهَا عَلَى مَلَإٍ مِنْ الْمَلَائِكَةِ إِلَّا قَالُوا: مَا هَذَا الرُّوحُ الْخَبِيثَةُ؟ فَيَقُولُونَ: رُوحُ فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ بِأَقْبَحِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانَ يُسَمَّى بِهَا فِي الدُّنْيَا، فَيُسْتَفْتَحُ لَهُ فَلَا يُفْتَحُ لَهُ، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ [الأعراف:٤٠] فَيَقُولُ اللهُ -عَزَّ وَجَلَّ-: اكْتُبُوا كِتَابَهُ فِي سِجِّينٍ فِي الْأَرْضِ السُّفْلَى فَتُطْرَحُ رُوحُهُ طَرْحًا، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج:٣١].

فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ هَاهْ هَاهْ لَا أَدْرِي، فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنْ السَّمَاءِ أَنْ كَذَبَ عَبْدِي، فَافْرِشُوا لَهُ مِنْ النَّارِ وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى النَّارِ، فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا وَسَمُومِهَا، وَيُضَيَّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلَاعُهُ، وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ قَبِيحُ الْوَجْهِ قَبِيحُ الثِّيَابِ مُنْتِنُ الرِّيحِ فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُوءُكَ هَذَا يَوْمُك الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ، فَيَقُولُ: وَمَنْ أَنْتَ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالشَّرِّ؟ فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الْخَبِيثُ، فَيَقُولُ: رَبِّ لَا تُقِمْ السَّاعَةَ»[1].

وفي روايةٍ: "ثُمَّ يُقيَّضُ له أعْمى أصَمُّ أبكَمُ، في يدِه مِرزَبَّةٌ، لو ضُرِبَ بها جَبلٌ كان تُرابًا، فيَضرِبُه ضَربةً حتى يَصيرَ تُرابًا، ثُمَّ يُعيدُه اللهُ كما كان، فيَضرِبُه ضَربةً أُخرى فيَصيحُ صَيحةً يَسمَعُه كلُّ شيءٍ إلَّا الثَّقلَينِ، قال البَراءُ: ثُمَّ يُفتَحُ له بابٌ مِن النَّارِ، ويُمْهَدُ مِن فُرُشِ النَّارِ". نسأل الله السلامة والعافية.

- يقول الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- في كتابه: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ﴾ [النساء:١٨].
- ويقول الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنعام:٩٣].
- ويقول الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ [السجدة:١١].
- وقال الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ (٩٩) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (١٠٠)﴾ [سورة المؤمنون: ٩٩-١٠٠].

---

(١) أخرجه أحمد (١٨٨٣٢)

- ويقول الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-: ﴿قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لَا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الأحزاب:١٦].

قال خبيب بن عدي -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-:

وما بِي حِذارَ المَوْتِ إِنِّي لمَيِّتٌ ولكنْ حِذارِي جَحْمُ نارٍ تَلَفَّعُ

يقول الحسن -رَحِمَهُ الله تَعَالَى-: "اجتمع ثلاثة نفر فسأل بعضهم بعضًا عن أمله، فقال أحدهم: لم يأتِ عليَّ شهر إلا ظننت أني أموت فيه: فقال: (إن هذا لأملًا)، وقال الآخر يوم: فقال: هذا أمل، فقيل للآخر، فقال: يأمل من أجله بيد غيره"؛ يعني يسأل كيف يأمن من أجله بيد غيره؟!

الكلام أحبتي في الموت يطولُ ذكره، وحسْب العبد المؤمن من ذلك أن يتذكَّر وأن يتفكَّر أنه ولا بد مفارق هذه الحياة الدنيا، وأنه ولا بد أن يخرج من هذه الحياة الدنيا وقد ما حصل على كل ما أمل وأراد، ولا حصل على كل ما بحث عنه وسعى خلفه، الدنيا يسيرة، والدنيا حقيرة، والدنيا قليلة، لذلك النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كان -صلوات الله وسلامه عليه- يعظ في ذلك فيقول: «كُنْ فِي الدُّنْيا كأَنَّكَ غريبٌ، أَوْ عَابِرُ سبيلٍ».

ابن عمر -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- لما قال: "إِذَا أَمْسَيْتَ فَلا تَنْتَظِرِ الصَّباحَ، وإِذَا أَصْبَحْتَ فَلا تَنْتَظِرِ المَساءَ" يريد بذلك أن الموت يفجأ العبد، ولا ينتظر أن يجمع العبد، ولا أن يوزع العبد المال ولا الميراث، ولا أن يوصي لفلان بكذا ولا لفلان بكذا، بل يفجأه الموت على الحال التي أمر الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- أن يُقبَض عليها، ويقبض الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- الصالح على العمل الصالح، ويقبض الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- الفاسد والمفسد على العمل الفاسد -نسأل الله السلامة والعافية-.

وهكذا ينبغي للعبد أن يتذكر وأن يعلم أن سكرة الموت إذا جاءت فالعبد لا تفوته تلك السكرة، قال الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ [ق:١٩] فلا يستطيع الهروب، ولا يستطيع البعد، ولا يستطيع أن يذهب إلى مكان يؤويه من هذا الموت.

كُلُّ ابْنِ أُنْثَى وإنْ طالَتْ سَلامَتُهُ يَوْمًا على آلَةٍ حَدْباءَ مَحْمولُ

سنُحمل على الأكتاف ويؤخذ بنا إلى آخر المقام في هذه الحياة الدنيا، وليس للعبد مقام بعد هذا المقام في هذه الحياة الدنيا، ولكن يُبعَث إلى الآخرة وإلى لقاء الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، فيُعرَض عليه عمله، ويُسأل عما قدمه في هذه الحياة الدنيا، وعما بدر منه من الحسنات أو السيئات، وحينها يتذكر العبد قول الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-: ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ [سبأ:٥٤].

علينا أن نتذكر قول الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢] ولنسعى في ذلك، في أن نعيش على الإسلام، وألا نموت إلا على الإسلام، وإلا على التوحيد وعلى السنَّة التي كان عليها رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ-؛ فهذه هي الحياة الحقَّة أن يعيش الإنسان على طاعة الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-؛

- ومن عاش على طاعة الله سبحانه قُبِضَ على طاعة الله.
- ومن عاش على معصية الله سبحانه قُبِضَ على معصية الله -نسأل الله السلامة والعافية-

أسأل الله سبحانه أن يمتعني وإياكم بطاعته، وأن يجعل أعمارنا وأعمالنا في طاعة الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىَ- وفي مرضاته سُبْحَانَهُ إنه -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىَ- ولي ذلك، والله أعلى وأعلم وصلَّ الله وسلَّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

❋ ❋ ❋ ❋ ❋ ❋ ❋ ❋ ❋ ❋ ❋ ❋ ❋ ❋ ❋ ❋ ❋ ❋ ❋

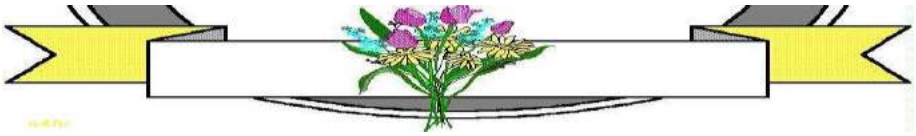

حسابات شبكة بينونة للعلوم الشرعية

ليصلكم جديد شبكة بينونة، يسعدنا أن نتواصل على المواقع التالية:

① 【 تويتر Twitter 】

https://twitter.com/BaynoonaNet

② 【 تيليجرام Telegram 】

https://telegram.me/baynoonanet

③ 【 فيسبوك Facebook 】

https://m.facebook.com/baynoonanetuae/

④ 【 انستقرام Instagram 】

https://instagram.com/baynoonanet

⑤ 【 واتساب WhatsApp 】

احفظ الرقم التالي في هاتفك

☏ https://api.whatsapp.com/send?phone=971555409191

أرسل كلمة "اشتراك"

تنبيه في حال عدم حفظ الرقم لديك

((لن تتمكن من استقبال الرسائل))

⑥ 【 تطبيق الإذاعة 】

لأجهزة الأيفون

https://appsto.re/sa/gpi5eb.i

لأجهزة الأندرويد

https://goo.gl/nJrA9j

⑦ 【 يوتيوب Youtube 】

https://www.youtube.com/c/BaynoonanetUAE

⑧ 【 تمبلر Tumblr 】

https://baynoonanet.tumblr.com/

⑨ 【 بلوجر Blogger 】

https://baynoonanet.blogspot.com/

⑩ 【 فليكر Flickr 】

https://www.flickr.com/photos/baynoonanet/

【 لعبة كنوز العلم 】 ⑪
لأجهزة الأيفون
https://goo.gl/Q8M7A8
لأجهزة الأندرويد
https://goo.gl/vHJbem
【 تيك توك TikTok 】
https://tiktok.com/@baynoonanet
【 في كي Vk 】
https://vk.com/baynoonanet
【 لينكدان Linkedin 】
https://www.linkedin.com/in/شبكة-بينونة-للعلوم-الشرعية-٦٦٩٣٩٢١٧١/
【 ريديت Reddit 】
https://www.reddit.com/user/Baynoonanet
【 تشينو chaino 】
https://www.chaino.com/profile?id=5ba33e0c772b23d5bb7daf0a
【 بنترست Pinterest 】
https://www.pinterest.com/baynoonanet/
【 سناب شات Snapcha 】
https://www.snapchat.com/add/baynoonanet
【 تطبيق المكتبة 】
لأجهزة الأيفون
https://apple.co/33uUnQr
لأجهزة الأندرويد
https://goo.gl/WNbvqL
【 تطبيق الموقع 】
لأجهزة الأيفون
https://apple.co/2Zvk8OS
لأجهزة الأندرويد
https://bit.ly/3fFoxWe
【 البريد الإلكتروني 】
info@baynoona.net
【 الموقع الرسمي 】
http://www.baynoona.net/ar/

حقوق الطبع محفوظة

شبكة بينونة للعلوم الشرعية